

رضوان نصري لـ«الوطن»: الموسيقى شديدة التأثير بالأحداث العامة.. وحقوق الموسيقيين مهدورة

إسوس صيداوي

معهوقته وحيدة، اختارها من قمة هرم، منحها من كلّ الروح، لأنها فعلا الروح العابرة في النفوس، أسرته، وتمكّنت من استحوازه، فاعتقت حبها نهجا حياتيا، يسير دووبا وبكل جهد من دون كلل أو ملل كي يحقق الوصل. نعم أنها موسيقاه ومن خلال عهده لها، يبذل يوميا ما لا يقل عن ثماني ساعات، كي يتبادل العطاء بمنحه نوتات عذبة، ساحرة، شكلها برفق وعناية كي يكونا أعذب الأغاني والمقطوعات. إنه الموسيقار الشاب رضوان نصري، فمن عمق الوجد والألم وبعد نزاع داخلي حارق، فارق شامه التي عانق عقب ياسمينها ثيابه ولم يفارقه، كي يعود بعدها

• الآونة الأخيرة شاهدنا عمليّن في الموسم الرمضاني من تأليف الموسيقي، الأول «وردة شامية» من إخراج تامر إسحاق وإنتاج شركة «غولدن لاين»، حدثنا عن ظروفه الموسيقية؟

بالنسبة لمسلسل ورده شامية، الأسلوب الموسيقي فيه كان بعيداً تماماً عن البيئة الشامية، فأول مرة تستخدم موسيقا الربع والموسيقا التشويقية الغربية بمسلسل بيئة شامية، وجرت العادة أن يكون اللعب على الموسيقا التراثية القريبة والمناسبة لهذه البيئة سواء من حيث الآلات أو الأجواء، على حين ما أنا قدمت من موسيقا تصويرية خلال المسلسل ليس له علاقة بالبيئة بناتنا، فأحداث بحبيبتها بواد والموسيقا بواد آخر، ولكنها على الرغم من غرابتها فهي مناسبة، والأمر الطبيعي بأن يستغفها الجمهور بداية، ولكنه مع المتابعة أحبها، وبعدها ارتبطت الموسيقا بالمسلسل وأصبح من غير الممكن أن يرى الجمهور المشهد من دون الموسيقا، وبالنتيجة فإنه لأول مرة حققت ما أسميه مسلسل «تشويقي شامي» أو «تشويقي بيبي». وأضيف هنا إنني سعيد بهذه التجربة لأنها خلقت تحدياً ولاقت استحسان الجمهور وحصد المسلسل متابعة كبيرة.

• مشاركتك الثانية لهذا الموسم بمسلسل«هارون الرشيد» وهو من إنتاج الشركة ذاتها.. السؤال: معروف عن المسلسلات التاريخية بجمودها، وفي العادة موسيقاها تقتصر على آلات محدودة.. ولكن هنا لم يكن الطرح تقليدياً.. حدثنا أكثر عن العمل؟ بصراحة بسبب كثافة الأعمال التاريخية لم يعد للجمهور أي حافر لمشاهدة أي منها، ومن البداية كانت رؤية كل من المخرج والشركة المنتجة أن يكون مسلسل «هارون الرشيد» مقدماً بطريقة مختلفة وجديدة، والذي تمّ العمل عليه مثلاً وعلى سبيل اختيار الشخصيات، لم يُخجل للمشاهد أن من يجسد شخصية هارون هو الفنان قصي خولي، لأن النص يتطلب شخصاً حاد الملامح بحسب الفنان خولي الذي ملامحه عصرية بشكل كبير، ولكن تمّ العمل على هذه التركيبة لجذب المشاهد، إذا أصبح هناك لغة جديدة للمسلسلات التاريخية لاسترداد نقطة مهمة جداً وهي أن الأجيال تغيرت، فالذي كان يتابع هذه النوعية من المسلسلات وهو في التسعينيات والثمانينيات لم يعد هو نفسه أو بالعقلية نفسها، ومن جهة أخرى حتى الجيل الذي يتابع اليوم عقلية مختلفة، والأخير يتوجه دائماً ويجذبه ما يمكننا تسميته بأسلوب العرض والتلوّن «show»، ولن يقبل بالتاريخي القديم الكلاسيكي، ما تطلب منا البحث عن عناصر جانبية له، ومن حيث حالات أن أطور ما تم طرحه من السابق من حيث الآلات وغيره، ما تطلب مني -وقبل البدء بالعمل-أن أقوم بمتابعة العديد من الأعمال العالمية للسنوات الخمس الأخيرة، كي أكتشف اللغة الجديدة المستخدمة في هوليوود، فهم ناجحون باستخدام آلات عصرية توظفها بشكل صحيح في الأعمال التاريخية، ومن خلال متابعتي لأعمالهم سعتي كي أستفيد من تجاربهم، وحاولت أن أقدم ما يخاطب العصر، وفي الوقت نفسه أن يكون الأسلوب الموسيقي جيداً، وفي النهاية من خلال بحثي ودراستي استطعت العمل بطريقة المعاصرة نفسها، وتمكنت من خلق لغة جديدة بالموسيقا التصويرية للمسلسل، وتم تنفيذ الموسيقا بطريقة عالمية من خلال العزف بطريقة الأوركسترا أو ال«Live»، كما تتماشى تماماً مع الرؤية الجديدة التي تحدثت عنها أعلاه.

• إلى أي حد تدخل شركة الإنتاج أو المخرج في عملك؟ بالطبع لا يتدخلون إلا في إطار أو حد معين، فأتا لدي رؤية وخاصة للعمل من خلالها، وإلا فلماذا أنا موجود معهم إن أحقق الرؤية الموسيقية الإخراجية الخاصة بي، وهنا أحب أن ألفت النظر إلى أن الموسيقا التصويرية سميت كذلك، لأن لها دوراً كبيراً في الرؤية الإخراجية للعمل، وإذا غابت عن المشهد فلن يكون له أي طعم أو تأثير مهما كان المخرج بارع باللع على الأحداث وإخراج المشهد. وبالعودة للسؤال.. إذا كان هناك تدخل من المخرج أو شركة الإنتاج، فيجب عليهم أن يحضروا شخصاً اسمه «منفذ موسيقي»، كي يعمل وفق ما يروه، وبالنسبة لي يكون دائماً هناك اتفاق بيّني وبين المخرج ومن قبل المباشرة بالعمل على الرؤية أو الصيغة، وفي النهاية لكل موسيقي لون كما أنه يعمل وفق مدرسة معينة، ومن ثم هم يعرفون أسلوبه الموسيقي وما يريده، وبالنتيجة تكون كل هذه الأمور محلولة.

• كيف تتعامل مع الضغط النفسي من حيث ضرورة الإنجاز في وقت محدد؟

بصراحة هذا الموسم كنت أعمل على العديد من الأعمال ولم تعرض كلها، فهناك أعمال مؤجلة، حيث عملت على أربعة أعمال ولكنها تأجلت، وتمّ عرض عمليّن، «وردة شامية»، الذي كان منجزاً ولم يعرض للعديد من الأسباب التي أصبحت معروفة للكثيرين، وقبل رمضان الماضي عدلتنا بعض الأمور وجّهنا المسلسل للعرض، وقررتنا الظهور بالطريقة التي تحدثت عنها سابقاً، وبالعودة لموضوع الضغط، لقد أصبح جزءاً مني، وأصبحت مبرمجا

عندما صممنا على صناعة الأغنية السورية أخفقتنا

اتجه إلى الأعمال الكوميدية مع المخرج هشام شربتجي، بعدها تحول إلى التراجيديا، ولكن النقطة النوعية في مشواره بالدراما السورية من خلال مسلسل «نزار قباني» الذي حقق شهرة عربية وعالمية وسوّقت موسيقاه عالمياً، من أعماله والقائمة تطول: أسرار المدينة، رجال تحت الطربوش، أشودة المطر، عائد إلى حيفا، وشاء الهوى، أبو زيد الهلالي، عناية مشددة، العراب، خاتون، صدر البان، الأخوة، الأممي، قلوب صغيرة، حريم الشاويش، هارون الرشيد، ورده شامية، إضافة إلى أعمال مصرية ك: أدهم الشرقاوي، جمال عبد الناصر، كاريوكا.

التقينا الموسيقار رضوان نصري وتوقفنا معه عند الكثير من الفواصل المهمة والإيكم الحوار:



«ويهر بي طيفها» أغنية وطنية أمنت بها وبصدق شجنها وأصبحت نشيداً لكلّ محب لسورية الوطن وشام الياسمين

المحلي والتلفزيون مقل جداً في حصة الأطفال، والاكتفاء بنوعية محددة من البرامج الكرتونية، مستغنين عن البرامج التفاعلية مع الطفل القائمة على المسابقات والأغاني والهويات هكذا، ولأسف أصبح طفلنا السوري يتوجه نحو المحتات العربية ويتابع برامج الهواة مثل «the voice kids»، والتي هي غريبة بالأساس ومسيمة وهم مخططون ومن البداية من سيستحق اللقب، فهذه البرامج مؤذية لعاطفة الطفل، وتسبب له الاكتئاب بما تخلقه بالنفوس من أوهام سلبية محزنة.

وأحب أن أشدد على ضرورة أن يكون التلفزيون المحلي أكثر فاعلية في هذا الموضوع، بتقديم برامج مدروسة وهادفة، ويفرد مساحة جيدة، فهذا سينعكس على المؤسسات الأخرى التي ستتهتم أيضاً بالأطفال لأن التلفزيون بدأ يستقطب، فمن خلال برنامج ناجح سيحقق الأمر كالدراما تماماً، عندما نجحت عدة مسلسلات، أصبحت كل المؤسسات تتراض نحو الإنتاج، وهذا الأمر طور الدراما.

• هل موضوع آخر لماذا الأغنية السورية لا تتّجّح ملياً... فالشاعر ناجح وكذلك اللحن والمغني ولكن ليس في سورية؟ هذا السؤال مهم وخطير، في مصر لم يعملوا على تسمية الأغنية المصرية بل كانوا يسمونها الأغنية العربية.. لا يوجد شيء اسمه أغنية سورية أو أغنية مصرية أو... إلخ، ويرأى عندما صممنا على العمل على شيء اسمه الأغنية السورية فشلنا، لأنه عندما يتم العمل على نطاق أدوات بسيطة يختلف الأمر عما إذا عملنا على نطاق أدوات عربية واسعة، فالأمر الأخير مُغني أكثر، ولهذا الأمر أصبحت الأغنية السورية فقيرة أو ربما ماتت، فالطرب السوري إذا أراد أن يعمل أمر مهما على الأقل يذهب إلى لبنان أو إلى مصر، لأن الأدوات هناك عربية، على حين نحن أدواتنا بقيت بسيطة، والأمر يشمل الأغنية الشعبية السورية، التي لاقت رواجاً في سورية وفي بعض مناطق لبنان فقط، ولا يمكننا القول إنها لفت رواجاً في مصر أو الخليج أو المغرب، إذا الأغنية التي تُغنى وتنتشر هي الأغنية العالمية.

• هل سنشهد لك عروضاً موسيقية مسرحية في المستقبل؟

هذا الأمر أتوقف عنده كثيراً، أنا لست برجل متطلب ولكن الانطلاق بمشروع كهذا يحتاج إلى التفكير ودراسة كل الإمكانيات، وخاصة أنه علي أن أقدم نفسي بطريقة تليق بي وبفني ورسالتي، فمثلاً أنا لا أستطيع أن أقدم عرضاً مسرحياً والأجهزة الصوتية غير مكتملة، أو المهندسون ليسوا على قدر من الكفاءة، لأننا سنصادف أثناء العرض المباشر العديد من المشاكل والمخاطر الصوتية، أنا ذكرت هذا كمثال فقط، وما باتنا بالأمور الأخرى. الأمر ليس بسيطاً بل يحتاج إلى ميزانية، وهنا أحب أن أطرح سؤالاً: لماذا في البلدان العربية المجاورة متفوقون علينا من حيث الصوت والإضاءة وبناء المسرح وفي كل التفاصيل؟ يجب أن تفكر بطريقة مختلفة وأن تقدم أنفسنا بطريقة لائقة، وربما إذا قمنا بمشاركة المال الخاص من خلال الشركات الخاصة، سيتم تقديم ميزانيات مناسبة قادرة على تخديم العروض بشكل جيد، وفي النهاية إن تحسنت الأحوال وكانت المباريات بالفعل جادة فسأكون مهتماً جداً ومن أول الأشخاص المباردين.



الموسيقي المطلوب وتكلفته المغدرة من رأس المال، وأنا غير قادرين على العمل تحت حد معين، وما أحب توضيحه هنا أن أسلوب عملنا يقوم على ما يمكنني أن أسميه «إيجار الموسيقا»، بمعنى في الغرب يدفعون بالفعل ثمن الموسيقا، على حين نحن نقوم بتأجيرها، هذا الفرق بين المفاهيم عالمياً، وللتوضيح أكثر مثلاً عند شراء مسلسل تركي، لم لا يبيعونها العمل ببيعاً قطعياً، بمعنى الشركة المنتجة تقوم بتأجيرنا العمل لمدة مئلا خمس سنوات، ولكن بعدها تعود ملكية المسلسل للشركة، لأننا ببساطة لا نستطيع دفع تكاليفه التي تصل للمليارات، وخاصة أن المسلسل قد يمتد إلى سنتي حلقة، وتكلفته تشمل فنين وممثلين ولو كيشينات وموسيقا... إلخ، الأمر يمتد إلى كل الأعمال الأميركية والمكسيكية وغيرها من الأعمال ذات المستوى.

• مرة قلت: حكمتي التي أنتهجتها في حياتي الموسيقية، أنني عربي أعشق شرقيتي فهمها تغربت جعلتي أعد بها إلى أصالتي... في بداية سني الحرب كنت اعتكفت عن العمل.. اليوم ما نظرتك لسورية وللحرب... وماذا تقول؟

صحيح. حتى إنني في أول عامي الأزمة انطلعت عن العمل تماماً، وكنت أفكر بين نزاع في قرار بين السفر أو البقاء في الفترة الأولى كنت قفياً في مصر، وأعمل في بعض الأعمال هناك، وقررت أن أبقى فترة، وقتها كانت الأجواء المصرية تعاني من عدم الاستقرار كما كنا تبعاً للأحداث، وفي بلدنا نزاع الأشخاص مختلف عن نزاع الحروب، وفي بلدنا سورية كان النزاع مختلفاً عن مصر، وعزّ على كثيراً أن أرى ما أت إليه الأحوال في سورية، فالموسيقى شديد التأثير، فأغلب أعماله ونواته مأخوذة من مشاهداته المحيطة للناس وحركاتهم وسهراتهم وهكذا، وأنا من هنا استقطب موسيقاي، وهذه الحالة فقدتها في العراق، واعتكفت وبقيت شعرت بضياح كبير ولم أعد أجد ما يبشيني، بقيت حالي هكذا إلى أن أحد المخرجين والدائشي التواصل معي استجرتني كي أعمل معه، فعدت إلى سورية الوطن على أساس أن أعمل هذا العمل ومن ثم أتوقف وأعود إلى مصر، ولكنني علفت. وهنا اكتشفت حالة ثانية للبلد، وشعرت بأنني أستطيع أن أعمل أمراً كان غائباً عني وقد أن أوأته، والأمر هو أن أقدم الأغنية الوطنية التي فيها شجن، فبرأيي الموسيقا تتفوق على السياسة والاقتصاد وعلى كل الأمور لأن الموسيقا أصبحت مادة يومية لا يمكن الاستغناء عنها بناتنا، إذا وجدت أن الموسيقا يمكنها العمل والتوفيق بين الكثيرين من الأطراف، بالطبع استغرق العمل مني وقتاً طويلاً، وكان عرض لي الكثير من العنوص، ولكنني لم أشعر بأنها مناسبة، ومن ثم جاءني نص أغنية «ويهر بي طيفها» لمسلسل عناية مشددة، فشعرت بأن هذه «اللغة»، هي التي يمكن أن أعمل عليها واستمر، وهي نفسها التي يمكن أن أقدم إلى كل سوري وحتى عربي وعندما يسمعها يشعر بالحنين إلى سورية والشام، وأنه من الممكن أن يعم الوفاق من جديد، فعلاً أمنت بها، وتحقق إيماني، فأني سوري بالمهجر وحتى اللحظة عندما نساله عن هذه الأغنية يقول بأنّها لن تفارقه في حياته، وتحولت إلى نشيد وطني لكل السوريين.

• أهذا لأكد ربما منحت نص الأغنية الكثير من

بأنني قبل رمضان بثلاثة أو أربعة شهور أدخل بحالة من الاستفراغ أو بحالة عصبية يجب ضبطها، وحتى جسمي أخذ يتغير ليتماشى مع طريقة تفكيري في هذه الفترة، بل أشعر بأنني أصبحت رجلاً خارفاً وعلي تحمل كل الأعباء، وأن أنجح، إذا أصبحت قادراً على برمجة هذه الحالة.

• الملاحظ أنك من خلال الدراما تقوم بواجب التعريف بالأصوات السورية الشابة أمثال: عادل جراح ونيرمين شوقي ونيرمين ملوحي، ما تعقيبك؟ لقد أصبحت الدراما النافذة الوحيدة لعظم الفنانين الذين يعملون بالغناء، بل أصبح العازفون والموسيقيون معروفين لدى الجمهور من خلال الدراما، هذا طبعاً لأن تبني الأغنية في سورية متوقف ومعتل لأنه لا يوجد لدينا شركات إنتاج، ما دفع أغلبية المطربين للتوجه إلى الدراما التي من الممكن أن تقدم لهم النجاح والانتشار.. وبالنسبة للأصوات التي ذكرتها، أنا دائماً أبحث عن خلمات شابة كي أستفيد منها والعكس صحيح، والفاجح أن لدينا خلمات تكاد تنافس مغفورة وغير معروفة، فصررت أقول لنفسني: لماذا لا تكون هذه الخلمات معروفة لكل الناس. وبالفعل من خلال أغاني المسلسلات أصبح الجمهور يعرف نيرمين شوقي وعادل جراح ونيرمين ملوحي، إضافة إلى أسماء كثيرة تعاملت معها، حتى إنني قمت بتصوير الحالة الموسيقية-غير الشارة-نفسها، على طريقة الفيديو كليب كي يشاهدها الجمهور، الأخير الذي يستمتع وشاهد المسلسل البالغ ثلاثين حلقة من دون أن يتعرف على كمية الجهد المبذول أو على مقدار الصعوبة التي تواجهها في الأعمال، أو أن يعرف من الجنود المجهولون الذين يعملون بحد كبير؟

• في مرة سألت السؤال التالي نفسه وأحب أن أسمع إجابتك: هل أنت راض عن شركات الإنتاج... بمعنى هل العقد ضامن لحق الموسيقي؟

السؤال يثير قضية مهمة، وهي أن العقد بيننا وبين شركات الإنتاج غير موثوق بطريقة تجعل الحقوق المدرجة مضمونة، وبالفعل نحن نعمل على أساس الثقة، ومن الممكن ألا يلتزم الشركة بالعقد، والأمر الآخر الذي يضر بالموسيقي هو أن يدخل في قضايا ومحاكم قد تأخذ وقتاً طويلاً جداً، ويمكن في النهاية ألا يستوفي حقّه، هذا وإذا أرادت شركة الإنتاج أن تهضم حقي فهي قادرة، فالوضع خطير لكنه متراجع ووارد بطبيعة الحال، وبالنتيجة نحن في هذه المواضيع بحاجة إلى الحماية الفكرية التي تحمي كل هذه الأمور، فمثلاً أنا كموسيقي أحصي عملي في الخارج، عن طريق-ولو بمقابل مادي-إرسال أعمالتي إلى شركة اليوتيوب المتعاقد معها، أو إلى بعض نوافذ التواصل الاجتماعي، وبالمقابل أنا مرتاح لأن أعمالتي محمية من السرقة من أي جهة عالمية، حيث باستطاعتهم وفي أي بلد في العالم أن يوقفوا السارق وتتم محاسبته.

• إذاً كلامك يتطابق مع الجملة التي قلتها مرة: الكثير من الموسيقيين حقهم مهدور... السؤال: هل ما زالوا كذلك؟

بالطبع نحن الموسيقيين في بلدنا حقنا مهدور من حيث تقييم الموسيقا مادياً، لأننا نتعب كثيراً مع شركة الإنتاج للوصول إلى صيغة تقاهم ومن ثم اتفاق حول المستوى



العقود مع شركات الإنتاج غير موثقة بطريقة تجعل الحقوق المدرجة فيها مضمونة.. والحماية الفكرية غير مفعلة